

## الأسس المادية لتفسير الطبيعة عند أفلاطون



د/ مريم الصادق المحجوب (\*)

المقدمة:

اعتمد أفلاطون (٤٢٧-٣٤٧ ق م) في تفسيره للطبيعة الذي قدمه في محاوره طيماوس (Timaeus) على ثلاثة أسس بدونها لا يمكن أن نتصور كيفية نشأة الطبيعة (\*) ككل وما فيها من موجودات وكيفية موجوداتها وعلاقتها بعضها ببعض وهذه الأسس اثنان منها ميتافيزيقيان وهما المثل والإله الصانع - وثالثهما مادي وقد سماه أفلاطون بالقابل أو (المكان) .

وسنبداً في هذا البحث بعرض المبدأ المادي لتفسير الطبيعة ، وما ينشأ عن هذا المبدأ من عناصر شكل العالم منها ، ولكي يتمكن أفلاطون من تفسير العالم المدرك بالحواس فلا بد من وجود عناصر أخرى محسوسة تظهر من خلالها المثل العقلية مشاهدة ومرئية وتتمثل فيما أسماه أفلاطون بالقابل أو المادة الأولى "الهولي" ، وبنظرية العناصر .

وإذا كان أفلاطون قد اهتم بنظرية المثل ، والإله الصانع واعتبرهما أساس فلسفته الميتافيزيقية ، فهل أهتم أيضاً بالأسس المادية لتفسير الطبيعة عنده ، أم اعتمد على الأسس الميتافيزيقية فحسب ؟.

(\*) قسم الفلسفة - كلية الآداب - جامعة الزاوية-ليبيا.

أن هذا البحث سيجيب على هذه التساؤلات ليبين مدى أهمية الأسس المادية في تفسيرها تكوين العالم.

وقد قسم هذا البحث إلى: مقدمة، و ثلاثة أقسام، وخاتمة ، تكلمت في المقدمة بإيجاز على مدى أهمية اهتمام أفلاطون بالأسس المادية وما ينشأ عنها من مبادئ تكون العالم منها ، وخصصت القسم الأول للحديث عن مفهوم المادة عند أفلاطون، أما القسم الثاني فهو للكلام عن القابل أو المكان عند أفلاطون . ووضحت التصور الذي قدمه أفلاطون للمكان، وتحدثت في القسم الثالث عن نظرية العناصر بوصفها الأساس الذي استند إليه أفلاطون لتفسير العالم المحسوس. وجاءت الخاتمة خاصة بأهم النتائج التي توصل إليها البحث .

#### أولاً : مفهوم المادة عند أفلاطون :

والجدير بالذكر أن مفهوم المادة هو مفهوم أفلاطوني وأن كان أفلاطون لم يطلق هذا المصطلح ، ولاحقاً عالج أرسطو(\*) هذا المفهوم بالتفصيل وحمله على عنصرين وهما " المادة الأولى المشتركة Materiasignata " و"المادة الخاصة" - والتي تقال على "المكان" و"الامتداد" و"الاستحالة" .

ولما كانت نظرية أفلاطون في " المادة اللامتعينة" المحاولة الأولى في تاريخ الفكر الفلسفي اليوناني نحو تأسيس نظرية تربط المادة بالشر، فإن أرسطو تبناها لاحقاً وعالجها بروثة انطولوجية خاصة. غير أننا نرى أن اعتراف أفلاطون بالمادة " كمبدأ" يتعارض مع قوله بـ " المثال" و" الوجود" و" الخير" فكيف لصاحب المثل أن يطابق بين " المرضعة" و" الامتداد" في

"طيمائوس، والسفسطائي"، و"الطبيعة القديمة" في "القوانين"، أو "جورجياس" وبين "أصل الشر، و"الانتظام" و"الجسمية" في "السياسة" ومن هنا يمكننا الاعتقاد أن معارضة أفلاطون بين المثال، والمادة قاده إلى ثنائية مطلقة بين الخير الأعظم "الوحدة = الثبات = الوجود" وبين الشر المطلق = "الكثرة = الحركة = الانتظام = اللاوجود". إن تفسير المفاهيم والمقولات اللافلأطونية يعد أمر في غاية الصعوبة<sup>(١)</sup>.

ولكن إذا حاولنا تحديد طبيعة العلاقة بين المادة والشر في محاورات أفلاطون واجهتنا صعوبات ذات طابع اصطلاحي يقوم على الترادف بين المفاهيم السابقة الذكر. فالمرضعة<sup>(\*)</sup> والحاضنة أم كل الوجود وهي أيضاً "الامتداد" في "طيمائوس" والمرادفة مع "اللامعتين" في فليبيوس والـ"الغيرية"<sup>(\*)</sup> في "بارمنيدس" و"طيمائوس"، والسفسطائي، و"الطبيعة" المعارضة للنفس والعقل في "القوانين" أو "جورجياس" و"الطبيعة القديمة" لأصل الشر والانتظام المتطابق مع "الجسمية" في السياسة<sup>(٢)</sup>.

فمن ناحية أولى إن كل هذه المفاهيم التي نقال على المادة هي واحدة من حيث معارضتها المبدأ الأول المسمي في هذه المحاورات بالخير والعقل. والمثال والإله، والنفس أو القانون أو النظام الخ. ومن ناحية أخرى فإن تطابق أي زوج من المفاهيم يقود إلى التناقض في أقوال أفلاطون في الوقوف على كل مفهوم على حده في محاورته المختلفة.

تلك هي المادة ذلك المبدأ الغامض الذي تصوره "طيمائوس" في تعارض مع الصورة. وذات حقيقة مختلفة تختلف عنها اختلافاً واضحاً، وباتحاد هذه المادة مع الصورة يتكون العالم. ولكن هل ننظر إلى تلك الثنائية

التي في "طيمائوس" باعتبارها معبرة عن تفكير أفلاطون في مرحلته الأخيرة ؟. أو ليس من الأفضل أن ننظر إلى رأى أفلاطون الذي عرضه في " بارمنيدس" وفي "السفسطائي" والذي حاول فيه أن يتخلص من هذه الثنائية على أنه رأيه الأخير في هذا الموضوع. فإذا كانت المادة أزلية أبدية، وإذا كانت جوهرًا موجوداً تحت كل التغييرات . فكيف نقول بعد ذلك أن الصورة وحدها التي تستحق اسم الوجود؟.

رداً على هذه التساؤلات . يرى أفلاطون " أن المادة لا يمكن معرفتها لا بالفكر ولا بالإحساس، وإنما المعقول وحده عند أفلاطون هو مقياس الحقيقة، وما لا يكون موضوعاً للإحساس فلا وجود له ، وإذا كان القدر الذي يحصل عليه من الوجود آتياً إليه من الصور ، أو ليس من الضروري أن نفترض وجود مبدأ سالب أي " لا وجود " يستطيع التمييز بين هذا الوجود الحسي ووجود الصور ، وإذا قلنا أن أفلاطون نظر إلى المادة هذه النظرة فقط ، فسنضيف إليه مثالية ذاتية ما دمنا سنعتبر أنه نظر إلى المادة على أنها مجرد تصوراً أو تمثل مختلط لعالم الصور في عقل الفرد (٣).

أما الحل فنجده عند (تسلر) \* كما يقول (بول جانيه) قائلاً: " إذا كان الأساس العام لوجود الحس ليس جوهرًا ماديًا ، وإذا لم يكن هذا الوجود الحسي من ناحية أخرى مجرد وهم أو مجرد تعبير عن تمثل ذاتي فقط ، فماذا عساه أن يكون إذن؟. يقول لنا أفلاطون ويؤكد أرسطو هذا الذي يقوله أفلاطون أن أساس كل وجود مادي هو اللامحدود "الأبيرون" \* منظوراً إليه لا باعتباره محمولاً بل موضوعاً أعني باعتباره اللاتحدد. فهو الأكبر

والأصغر الذي يجب إلا يوصف بأنه جوهر مادي، وهو اللاجود، والخلاء باعتباره شرطاً للانفصال والانقسام ، فعلياً أن نستبدل بالمادة الأزلية الأبدية صورة بسيطة للمادة ، صورة الوجود في المكان وصورة الحركة <sup>(٤)</sup> . وعندما نتحدث " طيماوس " عن مادة متحركة حركة مستمرة قبل نشأة العالم فإن هذا معناه. أن الانفصال والتغير هما الصورتان الأساسيتان لكل وجود حسي- ويريد أفلاطون الآن من ناحية أن يعطي هذه الصور وجوداً موضوعياً باعتبارها كائنة في الظاهرات الحسية نفسها أي أن وجودها ليس محصوراً في تمثلائنا عنها. لكنه من ناحية أخرى لا يستطيع بحال من الأحوال أن يضيف إلى المادة وجوداً حقيقياً معيناً ، ولا بد أن نقول عنها أنها جوهر لأن كل حقيقة مصدرها عنده الصور، فلم يبقَ إذن إلا أن نعتبر المادة سلباً للحقيقة الموجودة في الصورة، أي أنها لا وجود للصورة حيث أن هذه الأخيرة إذا أرادت أن تنفذ في المادة فإن وحدتها ستستحيل إلى كثرة، وثباتها إلى تيار من الصيرورة ، وتعيينها إلى إمكانية من اللاتعيين في الكبر والصغر ، وهويتها إلى تناقض ذاتي ، ووجودها المطلق إلى مزاجية بين الوجود واللاوجود <sup>(٥)</sup> .

لا جدال في أن هذا الحل يشير كثيراً إلى بعض الصعوبات. إذ يبدو أنه أضاف الوجود للوجود ، وجعل ما لا يمكن أن يخضع للتفكير قابلاً لذلك ، ولكن هذه الصعوبات هي صعوبات الأفلاطونية نفسها.

### ثانياً : القابل أو المكان

يرى أفلاطون أننا يجب إن نميز بين هذا الذي يتغير، والنموذج الذي على صورته يولد هذا الذي يتغير، وفي الواقع يمكن أن نقارن المتقبل بالأم،

والنموذج بالأب ، والطبيعة التي تنشأ بينهم بذريتهم، إن هذا الذي يتقبل في ذاته كل الأنواع يجب أن يكون مجرداً من كل الصفات ، فالأم والقابل لما سيكون مرئياً يجب ألا تسمى أرضاً أو هواءً أو ناراً أو ماءً، ولا أي واحد من مركباتها أو مكوناتها(\*) نحو ما نسميها طبيعة غير مرئية وبلا صفات<sup>(١)</sup>.

نفهم من ذلك أن العالم غير المرئي يتميز عن العالم المرئي المحسوس فبينما العالم المعقول يتسم بأنه أزلي أبدي ، نجد العالم المحسوس ينتمي إلى درجة أدنى في الوجود ، فهو يشتمل على ما هو ضروري على الدوام يتغير ويتبدل ويفسد ، ولكونه يمتلك كتلة مرئية ملموسة، فإنه يعد موضوع للإدراك الحسي. أما الحاضنة \* بالرغم من إنها يمكن توليدها إلا أنها ليست أبدية ولكنها تمتلك بداية.

لقد حاول أفلاطون إيجاد الحلقة المفقودة التي تفصل بين العالم المعقول "المتل" والعالم المحسوس "الموجودات الحسية"، فليس المتل هو ما يقابل الموجود الحسي فحسب بل أن المتل يولد الشيء أيضاً ويلامسه ويتلبسه. فالإلى جانب الوجود العقلي الثابت و "الموجود الحسي الكائن الفاسد" افترض أفلاطون موجوداً ثالثاً سماه "النوع الثالث".<sup>(٧)</sup> . فالمادة أو النوع الثالث مبدأ مطلق غير محدد لا كماً ولا كيفاً ويعد أساساً لكل الموجودات الحسية، وفيها يتحقق التشبيه فهي الحاضنة والمرضعة لكل ولادة".<sup>(٨)</sup>.

ولما كانت المادة مبدأ ضروري لوجود العالم عند أفلاطون فإن الحاضنة هي الأخرى تعد أزلية وثابتة ودائمة الوجود في العالم، ولكن لما

كان الثبات والأزلية من ظواهر المثل بدت الحاضنة كما لو إنها غير موجودة إذ لا يمكن إدراكها عقلياً كالمثال، ولا حسياً كالأشياء.

وفي هذا يقول أفلاطون عن المادة أو الحاضنة بلغة أفلاطون بأنها شيئاً غير محدد (oeoplstov) ولا يصور (octcoppou) فهي لا تدرك عقلياً ولا حسياً، بل استنتجها أفلاطون بضرب من البرهان الهجين\* .<sup>(٩)</sup> فالتحديد الانطولوجي للمادة عند أفلاطون يقوم على أساس السلب أو النفي (Negation) حتى تصبح المادة صفراً أو عدماً.<sup>(١٠)</sup> فالقابل يعد كالعقابل لكل شيء يتغير ويتشكل وفقاً للمثل التي تدخل عليه وبسببها بدأ امتلاكه لصفات مختلفة في أوقات مختلفة وبالرغم من أن القابل هو نفسه غير محدد فانه أساس لكل تحديد حيث انه بدونه يستحيل تفسير وجود عالم الأجسام والضرورة.<sup>(١١)</sup>

وقد أثار غموض مسألة "ضرورة" جدلاً حول مسألة وهي إذا ما كان أفلاطون قد قصد حقاً أن للعالم بداية زمنية أم لا: (أ) فالشيء يأتي إلى الوجود في وقت ما، إما فجأة أو مع نهاية عملية كان يتطور خلالها ، وهذا إذا كان شيئاً طبيعياً ولد ونمى، أو يصنع (هذا إذا كان شيئاً صنعه صانع) ، ويتمشى معنى الكلمة هذا مع مفهوم السبب الذي تم تصويره كأب صاحب ذرية، أو كصانع يبتكر منتجه من خلال ما لديه في مواد ، فالشيء غير موجود عند بداية العملية، وموجود في نهايتها : عندما نقول إنه "أصبح" أو "صار". (ب) ويمكن أن نقصد بالضرورة "كون الشيء في عملية تغير" وتستخدم الكلمة للتعبير عن حوادث "تقع" أو تغييرات "مستمرة" صحيح أن في مثل هذه الضرورة يمكن ظهور شيء جديد على الدوام واختفاء شيء

قديم إلا أن من الممكن تصور العملية نفسها على إنها مستمرة أزلاً من دون بداية ولا نهاية. <sup>(١١)</sup>، ولأجل هذه الصيرورة الأزلية فإن نوعية السبب المطلوبة ليست سبباً سيبدأ عملية ما في لحظة ما ويستكملها في لحظة أخرى ، ولكنه سبب يمكنه أن يوجد العملية ويجعلها تستمر بلا نهاية. ولمثل هذا السبب فإن كلاً من صورتَي "الأب" و "الصانع" غير ملائمتين. وتحتاج بدلاً من ذلك إلى التفكير في غاية أو مثال والتطبيق المستمر لقوة جذب تتوق دوماً إلى المثال. <sup>(١٢)</sup>.

أراد أفلاطون أن يوضح بقوله أن العالم "قد صار" بأنه مرئي وملمس وله كتلة وكل ماله كتلة مدرك، وما هو مدرك ينتمي إلى الدرجة الأدنى بالتباين مع نطاق الكينونة الأبدية، وبمعنى آخر يفهم من عبارة "قد صار" كمعنى يمتلكه العالم "وهو وجود يقاس بالزمن". وجود اشتقائي مستقل لا يعد مكتفياً بذاته وكأن (Prociuo) في هذا الصدد يتبع التقليد الرئيسي للأكاديمية. <sup>(١٣)</sup>.

ويكتب أرسطو متحدثاً عن معاصريه في الأكاديمية : " نعم يقولون أنه عند وصف تولد العالم فهم يقومون بما يقوم به عالم الهندسة عند بناء كيان ما، فلا يوحون بأن الكون قد أتى إلى الوجود ، ولكن لغرض العرض يقوم بتسهيل الفهم عن طريق عرض الموضوع في عملية تكون". ويحد البروفسور "تايلو" أن هذا التقليد قد حافظ عليه كافة الأفلاطونيين حتى عصر أفلوطين(\*) (في القرن الثالث) . فلا يذكر "procluo" سوى اثنين ممن خرجوا على هذا التيار "Atticuo, Plutorch". وبالرغم من أن أرسطو قد اختار أن ينتقد تقرير أفلاطون بمعناه الحرفي، إلا أن رفيقه "



Theophrastuo " قد سجل التأويل الأكاديمي بقدر ما أمكن . وبالطبع فإن هذا السؤال مرتبط بمسألة ما إذا كان الصانع - من هذا القبيل - خرافي أم لا ؟. وأضف إلى ذلك أن نظرية أفلاطون في المادة قد أثارت كثيراً من النقاش. فما هي المادة إذن؟ أمكننا أن نقول بحق أن للمادة وجوداً وأن لها حقيقة مختلفة اختلافاً تاماً عن المعاني بحيث لا يمكن أن نردها إليه؟ هل قوام الكون ينحصر فقط في العلاقة القائمة بين المادة وبين هذه المعاني؟.

يبدو أن أفلاطون هنا قد أقر في محاوره " طيماوس " وجود مادة أزلية (ولم يستخدم أفلاطون كلمة هيولى بهذا المعنى) . أي أنها شيء غير معين، والأساس في كل تغير ، وهي نوع من التهيؤ لقبول وجودات الأشياء أو هي التي تمدّها بالوجود كالمرضعة ، ولو أنه تصور وجودها تصوراً غامضاً ، وهي عنصر يوجد في صلب الأشياء الطبيعية ، مرنة كالعجين، مبدأ لكل شيء مع أنها لا صورة لها ولا كيفيات معينة بالذات ، وليست موضوعاً للفكر كالصورة ، ولا للإحساس كالمحسوس. وتتصورها فقط وسط ضباب وكما لو كانت في ضرب من الرؤيا أو الحلم .. ويسمى أفلاطون هذه المادة أيضاً بالمكان ، ولقد أطلق أفلاطون على القابل اسم المكان حيث رأى تشابههما، فالقابل "Receptacie" حيث أنه المادة الأولية أو الأساسية لكل الأشياء ليس له صفات خاصة به <sup>(١٤)</sup>. وبالتالي يعد من الصعب تخيل طبيعته حيث أنه لا يمكن إدراكه حسياً أو عقلياً. ونحن ندركه فقط بالتفكير الهجين كما سبق وأن قلنا.

والمكان أيضاً شيء ولا شيء. فلا أحد ينكر أنه يوجد ، بالرغم من أنه لا يمكن أن يرى ويلمس، وهكذا يشارك المكان قابل أفلاطون هذه الحاضنة الغامضة. (١٥).

ويري روس "Ross" أن التصور الذي قدمه أفلاطون للمكان يبدو كونه أول مرة يظهر في الأدب اليوناني عموماً بوصفه متميزاً من المكان المشغول من قبل أي شيء جزئي . كما أنه أول موضع عند أفلاطون أشير فيه للامتداد بكونه الشيء الملازم أو المتعدد فصله عن كل المحسوسات حيث أنه لا بد من وجوده لوجود المحسوسات (١٦).

فقد اعتقد أفلاطون أن القابل أو قالب المادة الخام " thematrix ofrawmaterial" وجد بداخله عامل لا عقلاني يقاوم التحديد ، وقد سمي أفلاطون هذا العامل " "الضرورة" " "إن الضرورة تعني هنا بالنسبة لأفلاطون ما ليس له غاية (١٧). وحيث أن القابل يتحرك عشوائياً وليس له غاية فإن هذا يعني إنه محروم من العقل ، وبالتالي ينتج آثار اتفاقية بدون نظام (١٨) ، وحيث أن القابل إذا ترك بدون سيطرة العقل فإنه يحدث آثاراً اتفاقية ، فإن هذا يعني أن المادة الأولى ليست ساكنة (١٩). أي أن المادة هنا متحركة ، وبالرغم من أنها متحركة إلا أنها مع هذا " تتحرك حركات اتفاقية. (٢٠)، فالإله تولى أمر هذا الذي هو متحرك ولكن في حركة متضاربة غير منتظمة (٢١). وحيث أن المادة تتحرك عشوائياً قبل أن يتدخل العقل الصانع ، فإن هذا يعني أن القابل أزلي كالمثل (٢٢) ، وبالتالي فهو لا يدين بوجوده للصانع.

أخيراً وصلنا إلى أنه مهما يكن من شيء ، فإن الاختلاف الأساسي الذي يفصل بين وجهة النظر الأفلاطونية ، وبين المادية التي ظهرت في العصر السابق على سقراط اختلاف واضح. فديمقريطس لم يعترف بحقيقة أي صورة ولا بأي نوع من التعيين الكيفي ، وإنما أضاف الحقيقة كلها إلى المادة ، أما أفلاطون فقد وجه نظره إلى الصورة وإلى الكيف ، وعزل الصورة عن المادة وحسمها في المثال ، وكان عند ديمقريطس يمثل الحقيقة كلها كالمادة ، والكم ، والمكان أصبح عند أفلاطون لا وجوداً أو ظلمة وعدم تعيين يوغل في قرار الوجود الحسي. (٢٣).

صفوة القول : أن القابل أو المادة الأولية غير المحددة تعد ضروريته لوجود أي شيء محسوس وبالتالي كل ما هو محدد في العالم ، حيث أن الأشياء المدركة بالحواس لا بد أن يكون لها مادة تدرك بالحواس ، هذه المادة هي القالب الذي شكل منه الصانع المحسوسات المختلفة وذلك وفقاً للمثل المعقولة ، وقد سمى أفلاطون هذا القابل باسم " الضرورة " حيث أنها تتحرك عشوائياً وبلا غاية ، وذلك بالطبع قبل أن يحاول العقل الصانع السيطرة عليها وتشكيلها.

### ثانياً :- نظرية العناصر

وبعد أن تحدثنا عن المبادئ الأولى بوصفها الأسس التي استند عليها أفلاطون لتفسير العالم المحسوس ، ينبغي هنا إن نتحدث عن العناصر وذلك نظراً لأن الصانع لم يشكل العالم من القابل مباشرة ، وإنما شكل أولاً العناصر من القابل ، ثم من العناصر شكل العالم نفسه وكل هذا الذي يوجد فيه (٢٤).

فأفلاطون يهتم بالعالم ليس من حيث هو تكوين نشأ تدريجياً نتيجة لتضافر تأثير عناصر مختلفة ، بل باعتباره نتيجة لفعل هدفه هو الخير الأسمى وصحيح أن إنبادوقليس ، وأنكساغوراس قد أدخلتا نظريتهما قوى تقوم بوضع العناصر إلى جانب بعضها البعض وذلك حسب خطة موضوعة ، ولكن ما أراد أن يؤكد عليه أفلاطون هو شيء مختلف اختلافاً جوهرياً ، فالمشكلة التي يضعها أفلاطون في المحل الأول هي مشكلة الفعل الصائب وهو يحدده بأنه الفعل الذي يهدف إلى الخير وذلك اعتماداً على علم بالخير الخالد ، والذي سيعرف هذا الخير سيكون هو الإنسان الكامل ، ولكن ما لا يقدر عليه البشر ، الإله عليه قادر. (٢٥) .

أي بمعنى أن الكون من عمل الإله وليس للإنسان القدرة على صنعه. ويقول أفلاطون في طيماوس: "إن تنسيق العالم وإنشاءه قد استوعب كلا من العناصر الأربعة بجملته. لأن منشئه من النار بأسرها ، ومن الماء برمته ، وكذلك الهواء والتراب ، ولم يدع خارج العالم ولا ذرة واحدة ولا أية طاقة من أحد تلك العناصر. (٢٦). أي أن نشأة العالم تكونت من العناصر الأربعة السابقة الذكر وبدونها لا يمكن تكوين العالم. وقد اعتقد أفلاطون . أن العناصر قد تكونت من القابل عن طريق فرض الصانع عنصراً عقلياً على القابل ، فمثلاً في الأشكال الهندسية. (٢٧). فالمكان أو القابل قد شكل إلى سطوح مستوية - مثلثات - وهذه المثلثات قد وجدت في المجسمات منتظمة. (٢٨). ويلاحظ أفلاطون أن العناصر الأربعة لا يمكن أن تسمى جواهر طالما أنها تتغير باستمرار: "أنها تقلت منا دائماً ولا تنتظر حتى نصفها بأنها "هذا" أو "ذاك" أو بأي عبارة نظهرها على أنها ذات وجود دائم. (٢٩). ومن هنا

يمكن تسميتها بصفات أو كصفات تظهر في المكان أو "المحل". إذ فيه تظهر كلها باستمرار ، تظهر ثم تختفي فيه .<sup>(٣٠)</sup> هذا ويضع الصانع أشكالاً هندسية على العناصر الأربعة ، ويعتقد أفلاطون أن الأشياء جميعاً ترتد في النهاية إلى مثلثات، وهو يختار منها نوعين : المثلث القائم الزاوية المتساوي الساقين (نصف المربع)، والمثلث القائم الزاوية غير المتساوي الأضلاع (نصف متساوي الأضلاع) تلك هي التي صنعت منها أشكال الأجسام الجامدة المربعة والمتساوية الأضلاع.<sup>(٣١)</sup>

نفهم من النصوص السابقة. أن الكون في رأي أفلاطون ما هو إلا مكان ذو بنية رياضية في دقتها وأنه يسلم جداً بأربعة عناصر، وأنه يتصور أيضاً أنها ذات بنية هندسية ، ويعد ذلك تقدماً هاماً من المفهوم الحسابي لدى الفينثاغوريين الذين يرون أن الله حينما خلق العالم خلقه على أبهى صورة ممكنة. وذلك هذا هو جوهر المفهوم الرياضي.

ويقول أفلاطون: "أن المبادئ التي تفوق هذه ، فاشه وحده هو الذي يعلمها، وكذلك المقربون منه".<sup>(٣٢)</sup> ، ولما كان الإله وحده الذي يعلمها فمما تتركب العناصر الأولى وهل يمكن القول بأنها تتشكل ؟ وهل هي متحركة أم ساكنة؟.

يقول أفلاطون : "يجب علينا أن نفرض ما يمكن الأجسام الأربعة أن تكون ، وأنها على تباينها فيما بينها قادرة أن تتوالد بعضها من بعض ، إذا ما تفككت و(انحلت) لأننا إذا وفقنا وبلغنا هذا الهدف وفقنا على حقيقة الضرورة فيما يتعلق بالتراب والنار وما بينهما طبقاً لعلاقة معينة. إذ أننا لا نسمح لأحد بأن يدعي أن هناك أجساماً منظورة أبهى من هذه يكون كل منها

جنساً فريداً قائماً بنفسه ، فلنجتهد إذن أن نوفق بين أجناس الأجسام الأربعة المتفاوتة بجمالها، وأن نلقي الوثام والانسجام بينهما ، لنصرح أننا أحطنا بطبيعتها الإحاطة الوافية<sup>(٣٣)</sup>.

أراد أفلاطون أن يوضح بأن الأجناس الأربعة ظهرت لنا وكأنها تتوالد كلها بعضها من بعض ، ولكن في ظهورها هذا المظهر لا تطلع لنا واقعها القويم.

وإلى جانب هذا وذاك . أفترض أفلاطون إن المثلث هو العنصر غير القابل للاختزال إلى ما هو أبسط منه.<sup>(٣٤)</sup> ومما هو واضح من النص أن أفلاطون بافتراضه هذا قد ظهر تأثيره أيضاً بالمذهب الذري حيث أن المثلثات تعد وحدات طبيعية مثل الذرات ، وهي غير قابلة للقسمة طبيعياً ، ولكنها قابلة للقسمة نظرياً إلى ما لا نهاية.<sup>(٣٥)</sup> ولكن بالرغم من هذا التأثير " فإنه يوجد اختلاف كبير بين الرأيين: فاللامنقسمات عند "لوقيوس" (أجسام صلبة ، أي عبارة عن ذرات تتميز بتنوع لا نهائي في أشكالها. أما أفلاطون فإنه يعتبر اللامنقسمات أي (المثلثات) سطوح مستوية من ناحية ، ومحدودة من ناحية أخرى<sup>(٣٦)</sup>. فكان أفلاطون هنا يعد مديناً أو معترفاً للذريين بالفكرة القائلة . "إن تنوع الأشياء المحسوسة يمكن أن تختزل إلى اختلافات في أشكال الذرات وأحجامها التي تعد في دواتها متجانسة في الجوهر.<sup>(٣٧)</sup> . وبالإضافة إلى تأثر أفلاطون في تصوره عن العناصر فإنه قد تأثر أيضاً بإينادوقليس في تحديده للعناصر بأربعة واعتقاده بأن كل جوهر طبيعي مركب من العناصر الأربعة ، ولكنه اختلف عنه بتصوره أن العناصر

الأربعة ليست هي المبادئ الأولى غير قابلة للقسمة وكذلك غير مطابقة كل واحد من الأجسام الأربعة البسيطة مع واحد من المجسمات المنتظمة.<sup>(٣٨)</sup>

هكذا تكونت الأجسام فتخصصت " الصورة المكعبة للتراب ، لأن التراب هو أبعد الأجناس الأربعة عن الحركة والتحول ، وأكثر الأجسام مرونة " والشكل الهرمي للنار، لأنها أيسرها حركة وتحولاً ثم أمضاها وأحدها من كل وجه ، والثماني أسطح للهواء، والعشرون وجهاً للماء.<sup>(٣٩)</sup> ويجب أن نعتبر تلك المجسمات صغيرة جداً بحيث أن مجسم واحد من أي واحد في تلك الأنواع يعد غير مرئي بالنسبة لنا، على الرغم من أنه عندما يجمع عدد من تلك المجسمات يمكن أن ترى.<sup>(٤٠)</sup>

نفهم من النصوص السابقة أن أفلاطون متأثراً إلى حد كبير بالآراء الفيثاغورية. وهذا ما يؤكد جثري Guthrie ، فاختراف أفلاطون لهذه المجسمات بالذات ونسبتها إلى العناصر الأربعة يرجع إلى تأثيره بالفيثاغورية<sup>(٤١)</sup>. إلا أن كورنفورد Cornford يخالفه في الرأي ويرى أن ربط المجسمات المنتظمة بالعناصر الأولية يعد فكرة جديدة من ابتكار أفلاطون.<sup>(٤٢)</sup>

وقد يتساءل البعض . هل ممكن للأجسام الأولية أن يتحول بعضها عن البعض أم أنه لا يمكن أن يطرأ عليها أي تغير ؟ .

رداً عن هذا التساؤل يقول د.إمام عبد الفتاح إمام على "لسان أفلاطون " يمكن للأجسام الأولية أو المجسمات أن تتحول الواحدة منها إلى الأخرى. فالماء يمكن أن ينحل أو يتفكك إلى المثلاث التي يتركب فيها بعكس النار، ويمكن لهذه المثلاث أن تعود فتجمع من جديد في المكان في شكلها

السابق ، أو في أشكال أخرى مختلفة ، فإن المثلثات التي يتكون منها هي خاصة به هو وحده (وهو يتركب من مثلثات متساوية الأضلاع أو نصف مربع تنشأ عنها الأجسام المكعبة). ومن هنا فإن جسيمات التراب لا يمكن أن تتحول إلى أي نوع آخر.<sup>(٤٣)</sup> وهنا وجدنا أرسطو يعترض على هذا الاستثناء الذي يستبعد التراب ويقيم اعتراضه على أساس أنه استثناء غير معقول ولا تدعمه الملاحظة.<sup>(٤٤)</sup> وأفلاطون يتحدث عن هذه المجسمات على أنها حركات أو قوى " وفي حالة انفصالها فإنها تظل متحفظة ببقايا من طبيعتها الخاصة.<sup>(٤٥)</sup>

أما حركة العناصر . فقد أعتقد أفلاطون أن للعناصر حركات خاصة "\*" بها ، فحيث أن العناصر ناشئة عن القابل المتحركة عشوائياً ، فإنها هي الأخرى ستتحرك عشوائياً . ولو لم يسيطر العقل عليها فإنها ستحدث أثراً اتفاقية بدون نظام أو تخطيط.<sup>(٤٦)</sup>

وقد أرجع "كورنفورد". حركات العناصر كما أرجع من قبل حركة القابل إلى الدافع اللاعقلاني في نفس العالم أو إلى النفس غير العاقلة.<sup>(٤٧)</sup> وبما أن العناصر ناتجة عن القابل فمن الطبيعي جداً أن تكون حركتها غير منتظمة ، لأن دافعها غير منطقي ، لكن لو افترضنا قدرة العقل عليها فإنها ستنتج أثراً ايجابية.

ولما كانت العناصر متحركة فإنها تتدفق باستمرار ولا يقضي واحد منها ليوصف بهذا أو بذلك. أو بأي كلمة تظهر كونه ذو وجود ثابت ، وتنشأ العناصر بعضها من بعض بالانحلال<sup>(٤٨)</sup>، أي بمعنى أن العناصر تحدث



من بعضها البعض بسبب التفكك نظراً لأنها غير ثابتة وذلك لحركتها الدائمة الاستمرار.

وفي موقع آخر عبر أفلاطون أيضاً عن كيفية تأثير أي عنصر على الآخر بصورة تبرز اتجاهه التشبيهي حيث رأي أنه " ما أن يتصل عنصر بآخر فإن الأضعف يستسلم للأقوى في المعركة . ويتلاشي بصورة متواصلة " .<sup>(٤٩)</sup>، ولكن هذا التحول بين العناصر ليس تاماً كما يبدو لأول وهلة، فحيث أنه قد بني على أساس السطوح وعدد المثلثات الأولية التي تحتويها نوعية هذه المثلثات، فإن الأرض التي يقابلها الشكل المكعب سيكون من مثلث مختلف "\*" عن الأشكال الثلاثة الأخرى.<sup>(٥٠)</sup>، ومن هنا فقد ذهب ريثر Ritter . إلى أن " المادة يمكن تعريفها بأنها ما يعمل في مكان.<sup>(٥١)</sup>، وتظهر الجواهر كما نعرفها من المفاهيم الأولية فالنحاس مثلاً ينشأ من نوع براق من الماء، ومن أنواع جامدة " محتوياً على جسم من التراب " وعندما يبدأ الجوهران في الانفصال مرة أخرى بفعل الزمن يظهر بذاته على السطح ويسمى صداً النحاس.<sup>(٥٢)</sup> . غير أن أفلاطون يلاحظ نشأة الجواهر وتكوينها وطبيعتها ليس سوى " خلق جديد " وهي تسلية مفعوله للراحة والاستجمام ونقوم بها لتقدم لنا متعة برئيه".<sup>(٥٣)</sup>.

## الخاتمة:

من خلال ما ذكرنا في هذا البحث يمكن أن نوجز أهم النتائج التي توصلنا إليها خلال البحث ونشير إلى أهمها فيما يلي :

١- يمثل سقراط نقطة تحول في تاريخ الفلسفة اليونانية بوجه عام ، وفي التفسير الغائي للطبيعة بوجه خاص ، حيث إنه بما قدمه من أفكار عن دور العقل في إيجاد العالم وتنظيمه والعناية به أتم التفسيرات الغائية التي بدأها الفلاسفة الطبيعيون السابقون عليه وهى الفرصة لظهور التفسير الغائي للطبيعة لدى أفلاطون . ولكن بالرغم من إسهام سقراط هذا في إبراز دور العقل إلا أنه لم يفصل القول في كيفية إيجاد العقل للعالم .

٢- واصل أفلاطون ما بدأه أستاذه سقراط ، حيث أكد على دور العقل في تشكيل العالم من القابل عن طريق محاكاة عالم المثل .

٣- أتضح لنا أن القابل والعناصر هي الأسس المادية التي سيقم أفلاطون عليها تفسيره لنشأة الطبيعة وتنظيمها. فكما إن القابل يعد ضرورياً لوجود أي شيء محسوس ، فكذلك العناصر هي الأخرى تعد مهمة لكي يكون العالم المدرك بالحواس مرئياً وملموساً ، أما حركتها فهي حركة عشوائية غير منتظمة ، لأن دافعها غير عقلاني.

## الهوامش

(\*) ينبغي أن نشير إلى أن مصطلح الطبيعة يعد مرادفاً لمصطلح الكون أو العالم Univers وأحياناً يستخدم أفلاطون ومن بعده أرسطو كلمة السماء Heavens للدلالة على الطبيعة.

## Nature

Plato : Politicus Trans with in Roductory ,. Essa Ysand footnotes ; by :J, B-skem p.Inplato , State sman ; Routled geandkegan . pout , London , 1952 , 269 d.

(\*) المركبات يقصد بها اجسام مركبة من اكثر من واحد في الاجسام الأربعة الأولية ،والمكونات يقصد بها أي صفة يمكن أن تنسب مثلاً إلى ما نسمه ناراً مثل الحرارة والصفرة.

1. Plato,timaeus,op,cit,52a.b.d.

٢. د.سليمان مظهر ، " المادة بوصفها شراً عند أفلوطين " مج ١٩ ،قسم الفلسفة، مجلة جامعة دمشق ، ١٧٣.

٣. المرجع السابق ، ١٧٤.

٤. بول جانية، وساي جبريل، مرجع سابق ، ص٨٠.

٥. المرجع السابق، ص٨٠-٨١.

٦. نفس المرجع السابق ص٨١.

٧. نفس المرجع السابق، ص٨٢.

8. Plato, The Timaeus and Critias or at Laicus. Trns by Taliafe Seconded, Pantheon .Books ,Inc.U.S.A.1952 .p.50.
٩. أفلاطون، طماوس، ترجمة د. فؤاد جرجي بربارة، تحقيق، ألبير ريفو، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، دمشق، 1968، ص 263.
١٠. أفلاطون، طيماوس، مصدر سابق، ص 263.
11. Aristole, Physica, Trans-By Harde, R.K. Gaye, Under The Editor ship of W.D.Ross in The Works of Aristole, Vol II. The Clarendon Press. Oxford 1947. Books4. ch2 – 209b.
١٢. أن التحديد الأفلاطوني للمادة والقائم على أساس سلب أو نقي الصفات يتعارض مع التحديدات التي ذكرها فلاسفة اليونان ا لقدماء وينحصر يجمله في الكيفيات والخواص. "
13. Plato, Timaeus, Op, Cit, 50c.
14. Plato, s.Co smology. The Timae us of Plato Translated Witharunning. Commentary by FRANCIS MACDONALD CORNFORD Lauren ce Professor of Ancient Philosophy and fell Owafirinity Coll eg in the University of Cambridgy. London on 1937 – PP. 24-33.
15. Ibid, P 25.
16. Ibid, P 26.

- 17.Crombie, L.M. An Examination of Plato's Docvine-  
Plato on know ledge and Reality, Routledge and kw  
ganpau. London , 1936-P.218.
- 18.Plato's, Cosmology, Op,cit, PP, 178-184.
19. Ross, Plato,s Theory of Ideas, Claredol. 1961, P-125.
- 20.Arisotle. Physica, OP, Cit.192 a -3-ff-209b, 11ff .
- "\* ينبغي أن تشير إلى أن أفلاطون قصد بالضرورة Ananke في محاورة  
(طيمائوس)عكس ما كانت تشير إليه عادة من التحديد والثبات والقابلية للتنبؤ،  
حيث أنه قد قصد بها غير المحدد المتقلب الذي لا يمكن التنبؤ به، فكأن  
الضرورة هنا قد ربطت بالمصادفة عند أفلاطون. see plato, Time , op,  
.cit. 48a
- 21.Plato, Time , OP, Cit, 46.
- 22.Taylor, A.E, The mind of Plato, First American  
Edition, Aabor back, The Univrsity of michigon  
Press, 1960, P 144.
٢٣. ارجع بعض الباحثين مثل كورنفورد Cornford هذه الحركة  
المضطربة التي يقاومها الإله الصانع في " طيمائوس" إلى وجود دافع  
لا عقلاني موجود في نفس العالم. See Cornford, Plato's. PP  
.205-206

(\*) ويعتمد كورنفورد في تدعيمه لرأيه السابق على ما صرح به أفلاطون عن  
النفس في محاورة (القوانين) حيث اعتبرها " علة الضرورة والفناء لكل  
الأشياء 981,E11 التي تسيطر على كل تفسير وإعادة تنظيم ، و يؤيد ذلك

د. أحمد فؤاد ألا هوائي رأي كورنفورد السابق في كتابه عن . أفلاطون ،  
دار المعارف ، القاهرة، ط 1119,4م ، 128-129 ويوافقهما مورو .

Morrow, Gleens Necessity . anb Persuasion, Plato's.  
Timaeus, The Philosophica, Rview, Vo121X, no,1, January,  
1950, P350.

بينما تري د. جيهان السيد " أن في افتراض كورنفورد وجود دافع غير عاقل  
في نفس العالم يحرك القابل عشوائياً قبل أن يتدخل العقل الصانع ليشكل  
العالم المحسوس . فيه تعارض مع ما جاء في محاوره " طيماوس" في وصف  
صريح لكيفية إحداث الصانع لنفس العالم. فكيف ندعي وجود دافع غير عاقل  
في نفس العالم يحرك القابل قبل أن تحدث النفس أساساً هذا من ناحية، ومن  
ناحية أخرى لم يصرح أفلاطون في "طيماوس" بوجود نفس غير عاقلة حتي  
وإن صرح بوجودها، فإن ذلك كان بعد " طيماوس" في " القوانين".د.جيهان  
السيد، أهمية مفهوم الغائية في تفسير الطبيعة لدي فلاسفة اليونان في القرنين  
الرابع والثالث قبل الميلاد " رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ،  
جامعة عين شمس ، ١٩٩٦ . ص ٥٧ .

24. Cornford, Plato's, OP, Cit, 29e.

٢٥. أفلاطون، طيماوس، الترجمة العربية د. فؤاد جرجي بربارة، مصدر  
سابق، ص—٢١٧، ٢١٨.

٢٦. أولف جيغن . المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية، ترجمة د.  
عزت قرني ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ١٩٨٣، ص—٢٧٦.

٢٧. أفلاطون ، طيماوس ، مصدر سابق، ص ٢١٧ \_ ٢١٨.

28. Plato, Tim , OP, Cit , 31b-53b-c.56c and Cornford, Plato's Cosmology, OP, Cit, P.33.
29. Crombie; an Examination of Plato's Doctrine, OP,Cit p222.
30. Plato.Tim.OP.Cit,49e- 50a.
31. Ibid,50e- 60a.
٣٢. أفلاطون ، طيماوس ، الترجمة العربية ، مصدر سابق ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ ، (54 a-b-ed).
٣٣. المصدر السابق ، ص ٢٧٥ \_ ٢٧٦ . (a - ٥٣).
٣٤. نفس المصدر السابق ، ص ٢٧٦ - (e - ٥٣).
35. Cornford; Plalo,s Cosmology. Op,cit,PP 162 – 178, 180,212.
36. Furley david-j; Two Studics in the Greek Atomists Princeton University Press, Princeton New Jersey,1967-P.1oq.
37. Aristole; De Generation Et corruption , Transl. by H.H jaacim,under the Editorstip of: W.D.Ross, in The Works of Aristole, Vol.II ,the Elarendon Press, Oxford 1947. Book1, ch.8, 325b 15ff.
38. Lloyd, G.E.R; Early Greek Science. The lesto Aristitle Second ed. Chattowindus, London 1982-p76.
39. Taylor; Themind of Plato, OP, Cit, P.139.
٤٠. أفلاطون ، طيماوس ، الترجمة العربية ، مصدر سابق ص ٢٨١ ، (٥٥e - ٥٦ a).
41. Plato, Tim, OP , Cit, 55 d- 56b,c.
42. Guthrie , W.K.C , AHistory of Greekphilosophy- The Earlier presocratics and the Pythagoreans , " vol .1 . The university press , cambridg . 1962 , P 268.
43. Cornford, Plato's cosmology , op , Cit , P 220.

٤٤. فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة ، ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام ، مرجع سابق ص٣٤٣.

٤٥. المرجع السابق ، والصفحة السابقة.

٤٦. أفلاطون ، طيماوس، الترجمة العربية ، مصدر سابق ص٢٨٤.

\* هذه الحركات هي الحركات المستقيمة أي التي تتجه إلى أعلى وإلى أسفل وإلى كل صوب، ويتجه كل منها نحو مكانه الخاص. أفلاطون ، طيماوس، مصدر سابق ص٢٨٨.

47. Jomes, N Jordan; Western Philosophy-from Antiquity to the middle Ages, Publishing Macmillan Compananye New york , 1987, P125.

48. Cornford ,Plato's Cosamology, OP, Cit, PP 57, 209.

49. Plato,Tim,op,cit,49 a.

50. Ibid, 53a

"\* ينبغي أن نشير إلى المثلث المشترك للعناصر الثلاثة هو المتساوي

الأضلاع .أنظر. أفلاطون ، طيماوس، الترجمة العربية ، د. فؤاد جرجي

بربارة، مصدر سابق، ص٢٧٥- ص٢٧٨ 54a-b-e-d-55a -b-e .

٥١. فردريك كوبلستون، مرجع سابق، ص٣٤٣.

٥٢. أفلاطون ، طيماوس، مصدر سابق، من ٢٩١.